المشرق

الولايات المتحدة

وترعة بناما

بقلم الشيخ الاديب انطون يوسف جبّل احد اساتذة مدرستنا الكلّيّة

هي العقول السامية المدارك تُرينا في عالم الاختراعات ما تزدهي به البلاد ويستفيد منهُ العباد فترتقي الحضارة والمدنية الاجتماعية في مراقي التقدّم والفلاح. وقد تجلّت تلك العقول البعيدة المرامي في افرادٍ جاؤوا الوجود في احقاب مختلفة وأمم متنوعة وخطُوا ما آتاهم الله من ثقوب الفهم ومضاء الفكرة بالتنقيب عن اسرار الطبيعة واستخدامها في سبيل الحاجة وتوصلوا بثباتهم الى ما أتى المجتمع الانساني خيرًا جزيلًا

ومن المشاريع الخطيرة توسيع نطاق فنّ البحارة وتمهيد سُبل التجارة في وجه اربابها فوفّروا لنا الاوقات الثمينة وقرّبوا الامكنة البعيدة. شادوا الروافع ترغم انف الماء الثائر وتلافوا شرود حافرات المراكب فرفعوا لها المنائر فكم من برزخٍ قضوه وخليج سدّوه وغديرٍ أيبسوه ولم يكن ليثبط عزيمتهم ما في ذلك من مشاقّ ومتاعب فهذه قناة السويس تكفل للمسيو دي لسبس ما كفلت اهرام مصر لمن بناها لسمًا ماجدًا وذكرًا خالدًا. وهذه ترعة بناما قد شغلت اليوم الافكار والعالم السياسي وقد جاءت الجرائد ملأى بتفاصيل المشكل الناجم بسببها بين كولمبية والولايات المتحدة. فاحببنا ان نلخّص تاريخ هذا المشروع ونذكر فوائده التجاريّة والسياسية فنقول:

﴿ مركز بناما الجغرافي ﴾ بناما عبارة عن برزخ يعترض بين الاوقيانوسين الاتلنتيكي والپاسيفيكي هو قائم بين كولمبية وكوستاريكا جامع بين اميركة الشمالية واميركة الجنوبية واقف في وجه التجارة يبلغ عرضهُ ستة وخمسين كيلومترًا بين مدينة كولون ومدينة بناما (راجع الرسم ١ في الصفحة ١٤٧) والاولى في ٩° ٢٢, عرضًا و ٨٢° ١٥, طولًا اما الثانية فهي ٨° ٥٦, عرضًا و ٧٩° ٣٠, طولًا

﴿ تاريخه ﴾ فتح برزخ بناما وَفَصْلُ العالم الجديد الى شطرين مشروعٌ خطير عائد بفوائد كبرى كما سنبينهُ ولقد عنَّ هذا الفكر لعلماء أعلام وحكّام عظام وبدا لعقولٍ نيّرة ومدارك سامية ان يضعوا هذا الفكر في حيز العمل فنشرتهُ الأقلام والالسنة في عالم الصحافة فكبّر سامعوه وقالوا : هذا من باب المستحيلات . . .

انهُ منذ الجيل السادس عشر خطر على بال احد البخارة نقض هذا البرزخ وحفر هذه الترعة فاقترح ذلك على الحكومة الاسبانية . وفي هاتيك الآونة ايضًا حدَتِ الهمّةُ بالسيد فرنندو كورتز فاتح البلاد المكسيكية الى القيام بهذا الامر الجلّل فألّف لجنةً من اصحاب الهندسة وعهد اليهم تخطيط رسم ترعة تجمع بين الاوقيانوسين وهذه هي الخطوة الثانية التي خطاها هذا المشروع في عالم العمل . وُضعت الرسوم على صفحات القرطاس ولم يلاقِ في ذاك العهد من يقوم بها فيضعها قيد الفعل . فتصرَّم جيلان كاملان وفتحُ هذه الترعة في عالم الرسوم حتى اواخر الجيل الثامن عشر اذ ارسل الملك كارلوس الثالث لجنة تدرس تلك الاماكن وتنظر في الامر فتضاربت الاراء وتفرّقت الكلمة ولم ينجم من ذلك نتيجة وبعد سنين قلائل عُهد ذلك المشروع الى المسيو دي هُمبلدت (de Humboldt) فلم يُصب نجاحًا

ثمَّ في السنة الخامسة والعشرين بعد الثمانمائة والالف حاز البارون تيري (Thierry) من بوليڤار (Bolivar) محرّر جمهوريّة كولمبية امتيازًا يخوّلهُ حفر ترعة بناما فعمل ولم يفلح

فما تقدَّم نرى انهُ قد بدا لقرائح جمّة وعقول شريفة متباينة وضع هذا المشروع موضع العمل لولا انَّ ساعتهُ لم تكُ بعد قد حانت . وكان نابوليون الثالث من مشاهير الرجال الذين درسوا هذه المسألة قيل انهُ كان يقضي ساعاتٍ طوالًا في قلعة هام (Ham) يعمل الفكر ويشغل النظر في التنقيب عن هذه القضية

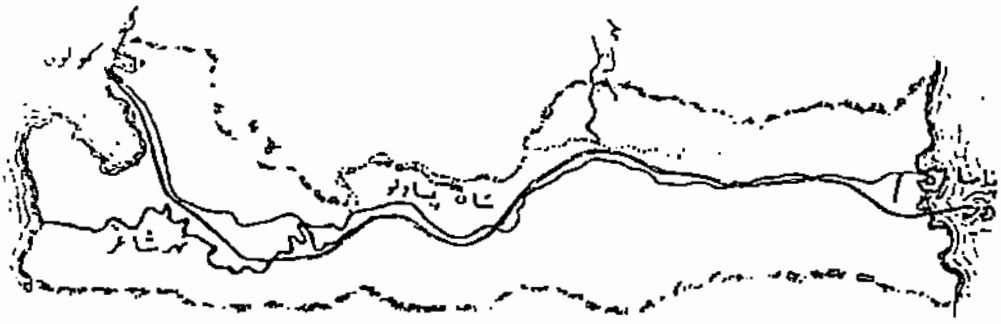
ترعة بنما
السكة الحديدية

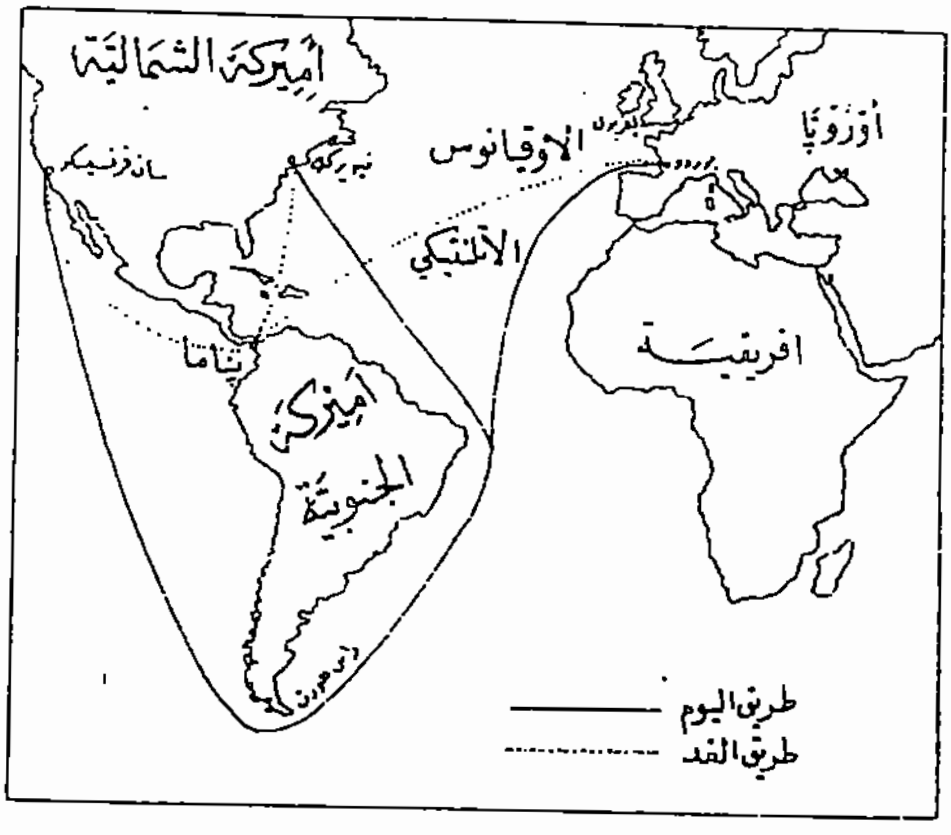
أميركة الشمالية
الاوقيانوس
الاتلنتيكي
أوروبا
افريقية
بنما
أميركة الجنوبية
طريق اليوم
طريق الغد

ولكنَّ المثرين اصحاب الذهب الرنّان لم يكونوا يعذرون تحقيق ذلك الّا من باب التوهمات وخطرات البال التي لا تأتي عالم الوجود بل تبقى في أفق التصوُّر ولذلك ما ألفت شركة ولا قامت عصابة للاخذ بناصر اولئك العلماء وبسط يد المساعدة لهم في مشروعهم . وكان الاميركان انفسهم اصحاب العمل والنشاط لا ينظرون الى مثل هذا المسعى الّا بعين الهزء والسخريَّة الى ان رأوا النجاح مكلّلاً اتعاب ذاك الهمام المقدام المسيو فرديناند دي لسبس بفتح قناة السويس . فعقدوا اذ ذاك لجنةً من حُذّاق المهندسين لينظروا في الامر ولكنَّ مساعيهم هبطت ولم يفوزوا بالمرام

امّا دي لسبس فخطر على باله ان يصنع في بناما ما صنعهُ في السويس بجدّه المتواصل فذهب العالمان ارمان ركلو (Reclus) ولوسيان وَيز (Wyse) في سنة ١٨٧٩ وتفقّدا تلك الحزون والبطاح وجالا في تلك الغابات والوديان وخطّطا رسمًا لتلك الترعة بعد ما حازا على امتياز من جمهوريَّة كولمبية وكان المسيو دي لسبس قد ألّف الشركة الماليـة وعدّل المبلغ اللازم بـ ٦٥٨ مليونًا من الفرنكات وكلٌّ يعلم ما حصل لهذا المشروع من النكبات وكيفية حبوط المسعى فلا حاجة الى التفصيل

وجلُّ ما ادّت اليه هذه المشروعات التواليـة مدّ خط حديدي بين كولون وبناما في سنة ١٨٥٥ (راجع الرسم ١ ص ١٤٧)

ومن اكبر اسباب تأخير فتح ترعة بناما هو انهُ خطر على بال بعض المهندسين واولياء الامر العدول عن هذا البرزخ الى برزخ آخر مارًّا ببحيرة نيكاراغوا ونهر سان جوان (San Juan) وتولّد هـذا الفكر في الشعب الاميركي ايَّ توليد سيَّما وانهُ كان بالظاهر يحول دون تتميم المشروع الافرنسي . وكانوا يزعمون بادئ بدء ان حفر الترعة اقل صعوبة من نقض برزخ بناما وانَّ هـذه الطريق تقرّب المسافة فكأنَّ الطبيعة تواطئ على احباط مسعى بناما . . . وبقيت هكذا اراء الشعب الاميركي موافقةً لترعة نيكاراغوا مخالفةً لبناما الى هذه السنة الاخيرة فانهُ بهمَّة العالم فيليب بونو ڤيلاّ (Bunau-Villa) واحد النوّاب اسمهُ مرقس حنّا (Marc Hanna) قد عادت الافكار عن غيها واتضح الحقّ فظهر للجميع عدم موافقة نيكاراغوا نظرًا لقوّة النهر وعلو المكان عن سطح البحر وكثرة المواد البركانية في هذه الارض . . .

وها انَّ اليوم قد نهض الاميركيُّون نهضةً جديدة لحفر ترعة بناما ولا تقعد همَّتهم حتَّى يستولوا على الأمد ويذلِّلوا كل الصعاب . واذا تمَّ الآن هـذا المشروع الخطير نكون شاهدنا في غرَّة جيلنا هذا عملًا جغرافيًّا ذا بال وهو فصل اميركة الى شطرين وجمع الاوقيانوسين ونكون نظرنا حادثة ذات شأن في عالم التاريخ عليهـا مبنى مستقبل الولايات المتحدة

هذا وكلٌّ يعرف ان اكثر رواج التجارة هو بين آسيَّة مهد التمدُّن القديم واوربة مهد التمدُّن الحديث ومن هنا تتأتَّى اهميَّة الطُّرق الجامعة بين القارتين

ولبيان خطر هـذه الترعة لا بُدَّ لنا من القاء النظر الى الطريق القديمة والمقابلة بينها وبين طريق الغد فتتضح لنا فوائدهـا التجاريَّة والسياسيَّة معًا لانَّ التجارة اصبحت اليوم باعث السياسة ومحور الاعمال والمعاهدات . قال احد كبار الفقها . : « في ايامنا هذه لم تَعُد دولة تحارب اخرى اذا ما اضرَّ ذلك بتجارتها . ومن ثم صارت التجارة سلطانة الدنيا »

١ الطريق عن البرزخ الافريقي اقدم طريق من اوربَّة الى آسيـة طريق البرزخ الافريقي اعني مصر فالنيل فالبحر الاحمر فالاوقيانوس الهنـدي وهذا ما رفع شأن الاسكندريَّة ووفَّر غناها وجعل بعد ذلك للبندقية اينًا نصيبًا عظيمًا من الثروة وقد وُجد بين اوراق كتبها نابليون بين سنة ١٧٨٦ و ١٧٩٣ ما يلي تعريبهُ : « ان مركز التجارة وسوق رواجها انَّما هي الاسكندريَّة التي شادها الاسكندر على النيل . وهكذا عمرت مصر على عهد البطالسة فاقاموا مدينة برنيقة (Bérénice) على شواطئ البحر الاحمر فكانت تجارة بلاد فارس والهند مع ايطالية واوربَّة عن طريق البحر الاحمر فالنيل » . بيد ان هذه الطريق كانت من الصعوبة على جانب عظيم سيَّما وانهـا بحريَّة وبريَّة فكانت تستغرق مصاريف باهظة لنقل السلع

٢ الطريق الى آسية عن راس الرجاء الصالح جاز ڤاسكو دي غاما رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ واختطَّ طريقةً بحريَّة محضة الى الموانى الاسيويَّة فتبعتهُ السفن والمراكب وهجرت طريق البحر المتوسط فتأخرت احوال الاسكندريَّة والبندقية

قال فوليتر في معرض كلامه عن الآداب : « ان رحلة كلسترو دي غاما الى مملكة كالكوت في الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح غيَّرت تجارة العالم القديم تغييرًا تامًّا .

وقد كانت الاسكندرية محور التجارة ورباط الشعوب على عهد البطالسة والرومانيين والعرب وكانت المستودع الوحيد في البلاد المصرية بين الاصقاع الاوربية والامصار الاسيوية ومنها كانت تأخذ البندقية محاصيل الحبوب لشعوب اوربة فاغتنت وارتفع عمرانها اي ارتفاع ولولا اكتشاف راس الرجاء الصالح لاصبحت البندقية في مقدمة الدول ».اه

٣ الطريق الى آسية عن ترعة السويس يد انهُ في اواسط الجيل التاسع عشر عادت طريق الهند مثلما كانت وذلك بنقض البرزخ الافريقي وجمع البحر المتوسط والبحر الاحمر ... تلك امنيةٌ طالما سعى وراءها الفراعنة والبطالسة واشار اليها بونابرت فحققها دي لسبس واعاد الى مصر مجدها الغابر وبهاءها السابق اذ عادت كالاول الطريق بين اسية واوربة

٤ الطريق بين اسية واوربة على البرزخ الاميركي (بناما) هذا وفي القرن الخامس عشر سنة ١٤٩٢ دعت ناهضة النشاط باليد كريستوف كولب ان يسير الى الهند بطريق جديدة. وكان قد ظنَّ — ونعم الظن — انهُ نظرًا لكروية الارض لا بد من وجود طريق اخرى الى الهند مواجهةً للطريق الاولى فبدلًا من ان تسير السفن في البحر المتوسط والاوقيانوس الهندي حاول ان يجري نحو ما ندعوهُ اليوم الاوقيانوس الاتلنتيكي والباسيفيكي ولما بدت لهُ ارض عن بعيد ظنَّ انهُ وصل الى الهند لكنهُ كان قد اكتشف اميركة. قال احد الكتبة: « اميركة جزيرة عظيمة معلقة بالقطب تشطر الاوقيانوس الى شطرين فكان اذًا كولب اخطأ بظنهِ ولكن يا حبَّذا الخطأ وما أعظم ما نالهُ بخطاهِ من التعويض — انهُ في الوقت نفسه اكتشف طريقًا جديدةً الى اسية على غير علم منهُ وذلك بنقض البرزخ الجامع بين اميركة الشمالية واميركة الجنوبية »

ومجمل القول ان السويس وبناما هما بابا اربعة بحور عظام كمنطقة تحدق بالكرة الارضية فيهما تمرُّ تجارة العمور واليهما مرجع امرها. وسوف يبقيان الطريق الكبرى اللاحبة بين اسية واوربة ما برح العالم السياسي على ما هو وبقيت الدول على هيئتها

والمرجح ان ترعة بناما تفوق على السويس فان في شرقي آسية شعوبًا عديدة نهضت من سباتها ودولًا عظيمة تماثل دول اوربة كاليابان مثلًا فتوسع نطاق التجارة

وزادت الحاصيل وكثرت الصادرات منها وكذلك في غربي اوربة قامت المانية تزاحم مجاوريها بمحصولاتها وتُصدرُ من البضائع كمية وافرة وهـذا التبادل سيكون عن طريق البرزخ الاميركي فترى عن قريب اميركة مقطوعة الى شطرين وبواخر الامم التجـارية وبوارجها الحربية تمس تيماً في ميـاه الاتلنتيكي والباسيفيكي بين آسية واوربة. قال احد ارباب السياسة: «عن هـذه الطريق يجري التبادل بين اوربة وشعوب الشرق الاقصى الذين اصبحوا او يصبحون عن قريب من اهم ارباب الحرف والصناعات... وكانت مدة السفر من باريس الى سان فرنسيسكو (راجع الرسم ٢) عن طريق كاب هورن (Cap Horn) لا تنقص عن ثلاثة اشهر ونصف. اما بناما فتوفر نصف ذلك الوقت. وكذلك المراكب الشراعية الذاهبة من نيورك الى الرفا المذكور تقطع المسافة بثلث الوقت الذي تصرفهُ الآن»

فما تقدم تتَّضح لنا اهميـة هذه الترعة وفوائدها ان تجارية او سياسية بيد ان القِدح المعلَّى والنصيب الاوفر يكون للولايات المتحدة التي تسعى لبسط لوا. سلطتها على البرزخ المذكور سيَّما وقد اصبحت بحالة تدعوها الى توسيع نطاق تجارتها فقد كانت هذه الولايات بادئ بدء تزيد وتنمو داخلياً ساعيةً في توفير ثروتهـا الداخلية وما زالت كذلك حتى عام ١٨٨٣ فصرت عمارةً حربية واخذت تخرجُ شيئاً فشيئاً من حدودها. وسبب ذلك انَّ الله حباها ارضاً غنيةً وافرة المحصولات استخرجوا منها المعادن والبترول والفحم الحجري فلم تلبث محصولاتها ان فاقت على نفقاتها فاضطرَّت الى حمل بضاعتها الى الخارج والمتاجرة بها حتى في اسواق اوربة فاشتدَّت المزاحمة بينهـا وبين بقيَّة الشركات ولكنَّها لوفرة ثروتها تمكَّنت من اهباط الاسعار ما لا يتمكنهُ الغير فنالت الاسبقيَّة على ما سواها

وبعد انجازها عمارتها الحربيَّة اشهرت الحرب على لبـانية وبسطت سلطتها على مستعمراتهـا وهكذا اصبحت الآن هاواي (Hawai) وصاموا (Samoa) والفيليبين تمهد لها طريقاً في الباسيفيكي نحو آسية اما سكَّان الولايات المتحدة فكانوا في سنة ١٨٠٠ خمسة ملايين وصاروا سنة ١٨٦٠ ثلاثين مليوناً وها قد بلغوا في سنة ١٩٠٠ ستة وسبعين مليوناً (هكذا تكون زادت في جيل ٧١ مليوناً) اما تجارتها التي كانت منذ اربعين عاماً ثلاثة مليارات وربع اصبحت الآن احد عشر ملياراً وقوَّتُهـا الصناعية

زادت في مدّة عشر سنين ٨٩ في المائة. وطول خطوطها الحديدية يبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر (فرنسة ٤٠,٠٠٠ كيلومتر) رأس مالها سبعة وخمسون مليارًا. والآن سيتم فوز الولايات المتحدة ويستتبّ لها ملك التجارة في انحاء المعمور اذا ما اخذت تحت حوزتها نقض هذا البرزخ وتولت على ترعة بناما... كانت انكلترّة على عهد كرومبل (Cromwel) اختلست ملك البحار من هولندة بواسطة القرار المعروف بقرار البحارة فكأنّنا الآن ننظر اميركة تختلس هذه السيطرة من انكلترة...؟ هذا موضوع يستحقّ بحثًا نؤجلهُ لوقتٍ آخر ان شاء الله

توبة داود

من نظم سيادة المسيو يوسف العلم

نتحف قرّاءنا بهذه القصيدة الفاخرة الابيات في اوّل الصوم الاربعينيّ الذي خصّتهُ الكنيسة بالتوبة النصوح وبالانابة الى الله عزّ وجلّ علّها تحرّك في قلوبهم عواطف الندامة على مثال الملك والنبي داود قدوة كل التائبين (الشرق)

داود الى النبيّ ناتان مشيرًا الى المثل الذي ضربهُ لهُ بعد خطيئته

ناتانُ من حسن البيان سحرتني فبلغتُ من نفسي مرامَ محاكمي
أصدرتُ حكمًا في مثالك عادلًا يصبو اليهِ كلّ ذوقٍ سالمِ
وظننتني أرمي بسهمي باغيًا فاذا بسهمي في فؤادي الناهمِ
لله درّكَ من حكيمٍ ماهرٍ يخطى بلا حربٍ بحظّ الغانمِ
وافيتني برقيق لفظٍ خلتهُ خمرًا فاسكرني حديثُ منادمي
شخّصتَ لي ظلم اللئيمِ بمجلسي فنهضتُ اقتلهُ بضربة صارمِ
وقضيتُ اني قد أصبتُ بقتلهِ فقتلتُ نفسي حين لستُ بعالمِ
يا ليتَ اوريًا يُلفّ حكمتنا حتى ينفّذهُ بآلٍ ناعمِ
فدماؤهُ سُفكت بامر ظالمٍ فليُردِ قاتلهُ وليس بظالمِ